

## رَدُّ عَلَى مَقَالِ

# عزني . ارامي . عبري

بقلم

الدكتور ابراهيم السامرائي

هذه اللغات السامية وفي مادة مقارنتها بغية الوصول الى فهم مشكلات هذه العربية نحواً وصرفاً ولغة . وكاتب المقالة ممن عرفه العراقيون من أدبائهم ، تستهويه المعرفة فيتعقبها ويسعى اليها ، وهو مشكور لهذه الهواية المستحبة ، ولاندفاعه في التزود من المعرفة ، على أن زاد الاستاذ الفاضل متعدد الجوانب ، فقد كتب في القصة منذ سنين ، ثم استهواه ( الخيام ) نائراً فنار ثورته ، ثم هو من كتاب المقالة القصيرة تبحث في مختلف شؤون العصر ، وما أدري فلعله نظم الشعر ، وربما كان حبه للمعرفة هو الذي دفعه الى أن يسلك سبيل البحث في اللغة على طريقة المقارنة .

غير أن سلوك هذا السبيل مضمّن شاق ، فصاحبه ملزم أن يكون له من الوسائل ما يسهل عليه هذه المهمة الشاقة العسيرة ، والاسلوب الذي درج عليه الكاتب الفاضل يقتضيه أن يكون على علم بالأصوات واللهجات وتاريخ علوم اللغة عامة .

الاستاذ الفاضل سكرتير مجلة ( سومر )

قرأت في مجلتكم العامرة « سومر » في المجلد الرابع عشر لسنة ١٩٥٨ ، مقالة للاستاذ عبدالحق فاضل عنوانها (عربي ، آرامي ، عبري) ، وسررت لعناية المجلة بهذه الدراسات اللغوية ، ذلك أن العربية على أسلوب جديد ، يحقق الغرض الذي يقوم على المقارنة والموازنة . والمقارنة وسيلة علمية مهمة من وسائل علم اللغة الحديث (Linguistique)

إذا فالموضوع من الموضوعات المهمة لدراسة العربية على أسلوب جديد يحقق الغرض الذي نصبو اليه في رسم تاريخ علمي لهذه اللغة التي انقطعت عنا حلقاتها الاولى . ومن ثم كان اهتمامي بالمقالة كبيراً ، ذلك أنني سلخت أعواماً في موضوع

(١) راجع مقال « عربي ، آرامي ، عبري » ،  
لعبدالحق فاضل ( سومر ١٤ [١٩٥٨] ص ١٨٠ -  
١٨٨ ) .

وتاريخ معين ، ووطن معين معروف<sup>(٢)</sup> ، وأن هذه متميزة عن العربية بوضوح وجلاء ، وينبغي على هذا أن « عربي » و « أرمي » ليس واحداً .  
ولابد أن نأتي الى تفصيلات لنقول فيها ما يفسد على كاتب المقالة « رأيه » أو « نظريته » .  
لقد ظن الاستاذ الفاضل أن موضوع « الابدال » في اللغة يوصله الى ما يريد ، وهكذا افترض أن العين في « عربي » و « عربية » وجميع صور الكلمة صارت همزة ، واستدل على ذلك بأن أمماً كثيرة لا تستطيع نطق العين ، ومن هؤلاء « الفرس » فهم يكتبون العين وينطقونها همزة كما مثل بقولهم « انهادية آراب » ويريدون بها « اتحادية أعراب » وتعني عندهم « الجامعة العربية » .

ولقد فات كاتب المقال أن الامم السامية تنطق بصوت العين وهو من أجل ذلك ظاهر في لغاتهم جميعاً ، وأكبر الظن أن الصوت قد وجد في الاكديّة ولكنهم رسموا الرسم الذي أتخذوه للهمزة وذلك لتقرب الصوتين في المخرج ، وعلى هذا فلم تكن « العين » كما أراد الكاتب سيئة الحظ . وقد أبدلت العين من الهمزة كثيراً في العربية ولم يحدث

(٢) كان للآراميين دويلات ومن هذه آram النهرين « آram نهرآيم » والمقصود بالنهرين الفرات والخابور ، وموطن هذه الدويلة في الرقعة الكائنة بين هذين النهرين بامتداد سوريا .

انظر

Roger, T. O' Callaghan, Aram Nahraim (Rome, 1948), 143.

ومن هذه المواطن ، دويلة حران وقد اطلق عليها ( فدان آram ) انظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٠ : ٢٨ : ٢ - ٧ ، ٤٦ : ١٥ .

وقد استوطن الآراميون في دمشق في حدود القرن الثاني عشر ق . م ، انظر طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ٢/٢٧١ .

وقد بدا لي حين قرأت مقالة السيد الفاضل أن أكتب شيئاً في الموضوع ، تحقيقاً للغرض العلمي الذي نسعى من أجله ، وأيماناً مني أن البحث العلمي جهود متظافرة لحشد كبير من الناس للوصول الى الحقيقة . ولا أريد أن أعقب على قول الاستاذ الفاضل عن علاقة اللغة الآرامية بالآراميين وصلتهم بآram أحد أبناء سام بن نوح ، لأن ذلك غير مجد ، ولسنا نستطيع أن نقول فيه شيئاً كثيراً . ولكنني سأعرض للموضوع جملة وتفصيلاً ، فقد جاء في مقالة السيد الفاضل : « وأود هنا أن أعرض « رأياً لي » في العلاقة بين أسم العربية والآرامية والعبرية لا يسنده نص قديم ولا حديث ، وإنما هو « نظرية » خطرت لي منذ أعوام وما زلت أتحدث فيها كلما دعت مناسبة ، فلم أجد حتى الآن عند أحد ما ينقضها ولا ما يبرمها » .

ثم يشير صاحب المقالة الى القرابة اللغوية بين هذه اللغات الثلاث وذلك أنها انحدرت من لغة واحدة كانت أمماً لهن ، ثم انه قد خرج عن هذا الاصل اللغوي لهجات عدة أستحالت الى لغات بمرور العصور الطويلة . على أنه يخلص من هذا الى « رأيه » وهو أن كلمتي « عربي وأرمي » كلمة واحدة ، ولم يختر « آرامي » لأن هذه الاخيرة تفسد عليه كثيراً من رأيه كما سنرى ، وأنهما كانتا ( رتقاً ففتقها تطور الحدان ) . وأنا أقول ان الكلمتين لم تكونا « رتقا » حتى « ففتقا » في مقالة الاستاذ الفاضل ، ذلك أن كلمة « آرامي » و « آرامية » ولا بأس أن نستخدم « أرمي » على نحو ما يريد كاتب المقالة ، و « أرمية » ، من الكلمات التي تشير الى لغة معينة ذات أصول معروفة ،

« أتى » بتشديد التاء ، ومعلوم أن فك الادغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية ، يقتضى أبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين ، كما نقول في العربية « جندول » وهي من (جدل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف ، وربما أبدل الراء بأحد الحرفين المتجانسين كما في السريانية كما في ( ترين ) و ( ترتين ) بمعنى « أثنين » و « اثنتين » وقد حدث مثل هذا في العربية كما في « فرقع » وهي من « فقح » بتشديد القاف ، وكما في « قرضب » وهي من « قضب » بتشديد الضاد ، وعلى هذا « أتى » بتشديد التاء تصبح « أتى » بفك الادغام ثم يحصل أبدال الطاء من التاء وهذا شائع في العربية كما في « نقطه » و « نكته » . و « أتى » بمعنى « أعطى » وارد في العربية ، كما في قوله تعالى : « وآتى المال على حبه ذوي القربى »<sup>(٩)</sup> ، وكقوله تعالى : « وآتت كل واحدة منهن سكناً »<sup>(١٠)</sup> .

ويستدل كاتب المقال بنطق العين همزة في السريانية العراقية ، وفاته أن لهجة هؤلاء قد تأثرت بأهم أخرى فالأقليم الذي يتحدث فيه النصارى بالسريانية في العراق متاخم لكرديستان ولعل جوارهم لهذه البيئة ذات اللغة الغربية عنهم هو الذي ولد عندهم هذا النطق ، والدليل على هذا أن السريانية الغربية كما في لبنان وسائر بلاد الشام قد احتفظت بنطق العين . ولعل مثل هذا قد حصل في العبرية ، فاليهودي الشرقي محتفظ بنطق العين لا يتعداه الى الهمزة ، أما اليهودي الغربي فهو يتعدى العين الى الهمزة وذلك لانه

العكس في العربية مطلقاً . وهذا ما أصطلحوا عليه بالنعنة<sup>(٣)</sup> وقد خصوا هذا النطق بتميم وقيس من قبائل العرب ، وعلى هذا جاء قول الشاعر ذو الرمة :

أعن توست من خرقاء منزلة

ماء الصباية من عينك مسجوم<sup>(٤)</sup>

على أن اللغات الآرامية قد خلت من هذا الأبدال ما عدا لغة الرها ففي هذه اللهجة تبدل العين همزة ، وليس الأبدال مطلقاً وإنما قيد بكون العين قد أتبت بالهاء<sup>(٥)</sup> ، وفي هذا ضرورة صوتية وذلك لتعذر اجتماع العين والهاء عندهم .

وأراد كاتب المقال أن يستفيد من موضوع الأبدال مستدلاً على قوله بعسر نطق العين ، فذكر أن العرب يدلون من العين نوناً كما في قولهم « ينطي » . وأود أن أقول أن هذا لم يكن ابداً ، وقد توهّم الأقدمون وحسبوه لهجة وقيدت هذه اللهجة بكر وقيس<sup>(٦)</sup> وعرفت بالاستطياء وعليها قريء : ( انا انطيناك الكوثر )<sup>(٧)</sup> ، ومنه حديث رسول الله (ص) : « وانطو التبعة »<sup>(٨)</sup> . وملاك الامر في هذه « النون » أنها لم تكن مقابلة للعين في « أعطى » وإنما جاءت من أن الفعل كان « أتى » بمعنى « أعطى » ثم ضعف الفعل فصار

- (٣) ابن الحاجب ، شرح الشافية ٢٠٣/٣ .  
 (٤) انظر ديوان ذو الرمة نشر مكارنتي ، جاء في البيت : أعن ٠٠٠ والمراد أن .  
 (٥) القس بولس الكفرنيسي ، غرامطيق اللغة السريانية ١٦ .  
 (٦) انظر مادة « عطو » في تاج العروس ، ولسان العرب .  
 (٧) الزمخشري ، الكشاف ٨٠٦/٤ ، سورة الكوثر ١ .

(٩) سورة البقرة ١٧٧ .  
 (١٠) سورة يوسف ٣١ .

(٨) المصدر السابق .

وتفاعلنا تفاعلاً شديداً حتى ذابت الاكديّة بالتدرّيج وأضحلت قبل الميلاد ، ولكن بعد أن تركت آثارها العميقة في الآرامية \* . ولقد غير الأستاذ الفاضل طريقته في الاستفادة من الابدال حين وجد لفظ ( الارميين ) فيما أثار عن « سترابون » في كلامه عن بلاد العرب وقال بالحلقة المفقودة بين « عربي » و « أرمي » \* .

وقد عالج كاتب المقال موضوع « عبري » و « عربي » وخلص الى القول الى أن الاول من الثاني بعد عرض طويل لصور الكلمة مستفيداً من باب « القلب المكاني » في علوم اللغة \* . ولا أظن أن الابدال وأن القلب المكاني يفتيان الساحت اللغوي للقطع بشيء ذلك أن الابدال وأن القلب مميزات اقليمية ضيقة قد توجد في بقعة ولا توجد في بقعة أخرى ودليلنا على هذا ما نراه في لهجاتنا الدارجة في عصرنا هذا وذلك أن الذي يقول مثلاً « يساوي » لا يقول « يواسي » ، ومعنى هذا أن جهة من الجهات تقول « يساوي » على الوجه الصحيح وأن جهة أخرى تستفيد من القلب المكاني فتقول « يواسي » للمعنى نفسه \* .

وختاماً أقول : أن « عربي » و « أرمي » و « عبري » كلمات ذوات دلالات مختلفة ، فكل منها تدل على لغة معينة وان كانت تؤلف مع غيرها من لغات أسرة لغوية خاصة هي الأسرة السامية \* .

نشأ في بيئة لا وجود لهذا الصوت في لغاتها \* . ولم يكنف صاحب المقالة بالابدال بين الهمزة والعين في « عربي » و « أرمي » وانما استفاد من مسألة الابدال بين الميم والباء قائلاً : « ومخرج الباء قريب جداً من مخرج الميم في الفم » ولم يقل أنهما من الشفة ، ثم قال : « فلو سددت وقلت « ماما » لخرجت من شفتيك « بابا » \* . وكان عليه أن يقول أن الفارق بينهما أن الميم صوت يدخل فيه الأنف (Nazal) على لغة أهل الاصطلاح \* . ولكن ابدال الباء من الميم أو العكس لم يكن مطلقاً وانما هو مقيد بالسمع فقد سمع في العربية « أرمي » و « ارمي » بمعنى واحد ، وربما كان ذلك مختص بجهة معينة من جهات العربية ، وعلى هذا أن الذي قال « بكة » لا يقول « مكة » كما في الآية : « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة » (١١) وان كان المفسرون لا يشيرون الى من يقول « بكة » ولا يقولها بالميم (١٢) \* . وليس من الطبيعي أن يحصل الابدال في موضعين من الكلمة الواحدة ، لانه لو جاز ذلك ، لجاز أيضاً أن يحصل في الكلمة ابدال واحد فتكون « عربي » و « عرمي » \* . ولا أدري ماذا يريد صاحب المقال بقوله : « واللغة الاكديّة هي أم الآرامية أو أختها و... » وأحتكت اللغتان

(١١) سورة آل عمران ٩٦ \*

(١٢) الزمخشري ، الكشاف ١/ ٣٨٦ \*